امرؤ القيس مولده ونشأته وشاعريته :

امرؤ القيس بن حجر الكندي (٥٢٠ م - ٥٦٥ م) اشتهر بلقب إمرئ القيس ومعناه: رجل الشدة، لقّبه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالملك الضلّيل، وعُرف بذي القروح؛ لإصابته بالجدري. ولد شاعرنا في نجد في اليمامة عند أخواله من بني تغلب، إذ قيل أن أمه فاطمة بنت ربيعة اخت المهلهل بن ربيعة. وهو شاعر وفارس عربي إذ روى الأصمعي أن أبا عبيد سئل في خير الشعراء فقال: "امرؤ القيس إذا ركب، والأعشى إذا طرب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب".

وهو أحد أشهر شعراء العصر الجاهلي رأس الطبقة الأولى من الشعراء العرب والتي تشمل زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني والأعشى، وكان سبّاقًا إلى العديد من المعاني والصور. وامرؤ القيس صاحب أوليات في التشابيه والاستعارات ،إذ كان أول من بكى وتباكى وشبه النساء بالظبيان البيض وقرون الماعز بالعصي.

وكان كثير التشرد والعبث يصطحب معه الصعاليك .فقد جاء في الأخبار أن اباه حجرًا طرد امرأ القيس أنفة من قوله الشعر، فخرج الفتى في أحياء العرب ومعه أخلاط من العرب، ينشد غديرًا أو روضة، فأقام وذبح لمن معه، ثم خرج إلى الصيد فتصيّد، ثم عاد، فأكل وأكلوا معه، وغنته قيانه. إلى أن جاءه خبر مقتل أبيه، وهو بـدمُّون (إحدى مدن لكندة، في اليمن). وقيل إن الخبر ورده وكان مع نديم لم يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد. فقال:

"تطاول الليل علينا دمُّونْ دمون إننا معشر يمانون وإننا لأهلنا محبون"، ". ثم قال: "ضيّعني صغيرًا، وحمّلني دمه كبيرًا، لا صحو اليوم ولا سكر غدًا، اليوم خمر وغدًا أمر" .

وسئل الفرزدق، من أشعر الناس؟ قال امرؤ القيس. ومن جعله كذلك، فقد انطلقوا من شاعرية متفردة، وأساليب شعرية غير مسبوقة، فإذا بها تصبح مع الأيام والعصور، سننًا وطرائق لا سبيل إلى تجاوزها أو حتى تغييرها وتطويرها. من ذلك: (استيقاف صحبه، والبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ. وشبّه النساء بالظباء والبيض، وشبّه الخيل بالعقبان والعصيّ، وقيّد الأوابد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب وبين المعنى) .

وقد استهل معلقته بقوله:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ

١- لوحة في وصف الليل بقوله:

وَلَيلٍ كَمَوجِ البَحرِ أَرخى سُدولَهُ عَلَيَّ بِأَنواعِ الهُمومِ لِيَبتَلي

فَقُلتُ لَهُ لَمّا تَمَطّى بِصُلبِهِ وَأَردَفَ أَعجازاً وَناءَ بِكَلكَلِ

أَلا أَيُّها اللَيلُ الطَويلُ أَلا اِنجَلي بِصُبحٍ وَما الإِصباحُ مِنكَ بِأَمثَلِ

فَيا لَكَ مِن لَيلٍ كَأَنَّ نُجومَهُ بِكُلِّ مُغارِ الفَتلِ شُدَّت بِيَذبُلِ

شرح الابيات ص ٢٥٣

٢- في لوحة الفرس :

وَقَد أَغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِه بِمُنجَرِدٍ قَيدِ الأَوابِدِ هَيكَلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ مَع كَجُلمودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَيلُ مِن عَلِ

كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِبدُ عَن حالِ مَتنِهِ كَما زَلَّتِ الصَفواءُ بِالمُتَنَزَّلِ

شرح الابيات ص ٢٥٤

وفي القسم الثاني من حياته بعد أن لقى حتفه ابوه حُجر و اعمامه ومن قبلهم جده الحارث ، نجد في شعره مشاعر الالم العميق والحزن وهو يشكو الدهر عند الحديث عن مصيره ، وفي مقطوعة يصور حزنه على آبائه وما تجمع عليه من البلاء يقول :

أَرانا موضِعينَ لِأَمرِ غَيبٍ وَنُسحَرُ بِالطَعامِ وَبِالشَرابِ

عَصافيرٌ وَذِبّانٌ وَدودٌ وَأَجرَأُ مِن مُجَلَّحَةِ الذِئابِ

فَبَعضَ اللومِ عاذِلَتي فَإِنّي سَتَكفيني التَجارِبُ وَاِنتِسابي

إِلى عِرقِ الثَرى وَشَجَت عُروقي وَهَذا المَوتُ يَسلِبُني شَبابي

شرح الابيات ص ٢٥٩ -٢٦٠